

## أنساق "الإسلام والعروبة والوطن" في خطابات البشير الإبراهيمي

د. سعيدة تومي جامعة البويرة

toumi.saida10@gmail.com

ت الاستقبال: 2020-02-25 ت القبول: 2020-07-02

ت النشر: 2020-12-31

### ملخص بالانجليزية :

*The message of Sheikh Brahimi and his intellectual project was a reading of a sick Algerian reality that calls for standing up to major challenges and at different levels, but it is an absolute constant that he has based his reformist intellectual and renaissance message on stable and unchanging pillars: Islam is a religion, Arabism is a language, Algeria is a country.*

*True Islam is the mainstay of his renaissance project, and for this reason Sheikh Al-Ibrahimi devoted his life to planting it in the hearts of children through schools, and strengthening it in the hearts of young people through clubs, and reviving the minds of the elderly through mosques, so that the nation becomes coherent in construction, and is more powerful to bring out the French entrepreneur, as the Sheikh focused Brahimi in his writings and lectures on Arabism and the Arabic language, for several reasons, including the fact that Arabs are among the most ancient nations in history and because God honored them by choosing the last of his prophets and the seal of his messengers from them, and because France has worked throughout its presence in Algeria to demean Arabism and reduce its importance in the eyes of Algerians to remove them from And deportation of them.*

*As for Algeria, it was the home of the soul and the mind. Death for its sake is a testimony, just as its reformist struggle went beyond the borders of its homeland Algeria to go beyond that to the Arab world and the Islamic nation, seeking in this way to build an intellectual project that would rid the Islamic nation of the darkness of ignorance, backwardness and tyranny.*

key words :Islam, Arabism, the homeland, the text of al-Bashir Ibrahimi.

**ملخص المقال بالفرنسية :**

Le message de Sheikh EL Ibrahimi et de son projet intellectuel était la lecture d'une réalité algérienne malade qui appelle à relever des défis majeurs et à différents niveaux, mais c'est une constante absolue qu'il ait basé son message réformiste intellectuel et de la renaissance sur des piliers stables et immuables: l'islam est une religion, l'arabisme est une langue, l'Algérie est un pays.

Le véritable islam est le pilier de son projet de renaissance, et pour cette raison, Sheikh Al-Ibrahimi a consacré sa vie à le planter dans le cœur des enfants à travers les écoles, à le renforcer dans le cœur des jeunes à travers les clubs, et à raviver l'esprit des personnes âgées à travers les mosquées, afin que la nation devienne cohérente dans la construction et soit plus puissante pour faire ressortir l'entrepreneur français, comme le Sheikh se concentrait. Brahimi dans ses écrits et conférences sur l'arabisme et la langue arabe, pour plusieurs raisons, notamment le fait que les Arabes sont parmi les nations les plus anciennes de l'histoire et parce que Dieu les a honorés en leur choisissant le dernier de ses prophètes et le sceau de ses messagers, et parce que la France a travaillé tout au long de sa présence en Algérie pour rabaisser l'arabisme et réduire son importance aux yeux des Algériens pour les en retirer. Et l'expulsion d'entre eux.

Quant à l'Algérie, elle était le foyer de l'âme et de l'esprit. La mort en elle-même est un témoignage, tout comme sa lutte réformiste a dépassé les frontières de son pays natal, l'Algérie, pour aller au-delà du monde arabe et de la nation islamique, cherchant ainsi à construire un projet intellectuel qui débarrasserait la nation islamique de l'obscurité de l'ignorance, du retard et de la tyrannie.

les mots clés : Islam, arabisme, patrie, le texte d'al-Bashir EI Ibrahimi.

**ملخص المقال بالعربية :**

كانت رسالة الشيخ الابراهيمى ومشروعه الفكرى قراءة لواقع جزائري مريض يستدعى الوقوف على تحديات كبيرة وعلى مستويات مختلفة، ولكن من الثوابت

المطلقة أنه قد بنى رسالته الإصلاحية الفكرية و النهضة على دعائم ثابتة لا تتغير هي: الإسلام دينا والعروبة لغتنا والجزائر وطننا.

فالإسلام الصحيح هو عماد مشروعه النهضوي، ومن أجل ذلك كرس الشيخ الابراهيمى حياته لغرسه في نفوس الأطفال عبر المدارس، وتقويته في قلوب الشباب عبر النوادي، وإنعاش عقول الكهول عبر المساجد، حتى تصبح الأمة متماسكة البناء، وتكون أكثر قوة لإخراج المستدمر الفرنسي، كما ركز الشيخ الابراهيمى في كتاباته ومحاضراته على العروبة واللغة العربية، وذلك لعدة أسباب منها أن العرب من أعرق الأمم في التاريخ و لأن الله أكرمهم باختيار آخر أنبيائه وخاتم رسله منهم، و لأن فرنسا قد عملت طيلة وجودها بالجزائر على تحقير العروبة وتقليل شأنها في أعين الجزائريين لسلخهم منها و إبعادهم عنها.

وأما الجزائر فقد كانت موطن الروح و العقل ، الموت من أجلها شهادة، كما تجاوز نضاله الإصلاحي حدود وطنه الجزائر ليتعدى ذلك إلى الوطن العربي والأمة الإسلامية، ساعيا في ذلك إلى بناء مشروع فكري يُخرج الأمة الإسلامية من ظلمات الجهل والتخلف و الاستبداد.

الكلمات المفتاحية : الإسلام ، العروبة ، الوطن ، النص الابراهيمى.

#### \*نص المقال:

كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مشعلا حقيقيا حمل على عاتقه إصلاح المجتمع الجزائري تربويا وثقافيا ودينيا وأخلاقيا، خاصة وأن راهن الجزائر آنذاك كان يشهد انحرافا كبيرا نتيجة عوامل تاريخية واستعمارية متعددة كتفشي الجهل والخرافة وانتشار الأمية وضعف الالتزام السليم بالدين الإسلامي.

وقد ناضل الشيخ البشير الإبراهيمي (1889م - 1965م) وابن باديس ورفاقهما في جمعية العلماء منذ بداية الثلاثينات من هذا القرن من أجل تحرير الجزائر من الاستعمار الفرنسي تحت شعار: الإسلام ديننا - والعربية لغتنا - والجزائر وطننا - ضد الفرنسية والتنصير - والاندماج والتجنيس - التي كانت فرنسا تحاول فرضها على الجزائريين طوال عهد الاحتلال الفرنسي للجزائر (1830 - 1962م)<sup>1</sup>، فقد كان رجال الإصلاح على وعي تام بسياسة المستعمر الفرنسي وتأثيرها الخطير على الهوية الجزائرية دينا و أخلاقا و كيانا، وللشيخ الإبراهيمي توصيف دقيق لواقع الحال آنذاك: « جاءت فرنسا إلى الجزائر بالراهب الاستعماري لتفسد به على المسلمين دينهم و تُفتنهم به عن عقائدهم، و تُشكِّكهم بِتَأْلِيثِهِ في توحيدهم (...) و جاءت بالمعلم الاستعماري لِيُفسد على أبناء المسلمين عقولهم، و يلقي الاضطراب في أفكارهم، و يَسْتَنْزِلَهُم عن لغتهم و آدابهم، و يشوّه لهم تاريخهم، و يُقَلِّل سلفهم في أعينهم، و يزهدهم في دينهم و نبيّهم ... »<sup>2</sup>.

إذن كانت رسالة الشيخ الإبراهيمي ومشروعه الفكري قراءة لواقع جزائري مريض يستدعى الوقوف على تحديات كبيرة وعلى مستويات مختلفة، ولكن من الثوابت المطلقة أنه قد بنى رسالته الإصلاحية / الفكرية / النهضة على دعائم ثابتة لا تتغير هي: الإسلام ديننا و العُروبة لغتنا و الجزائر وطننا.

**فالإسلام الصحيح** هو عماد مشروعه النهضوي، ومن أجل ذلك كرس الشيخ الإبراهيمي حياته لغرسه في نفوس الأطفال عبر المدارس، وتقويته في قلوب الشباب عبر النوادي، وإنعاش عقول الكهول عبر المساجد، حتى تصبح الأمة متماسكة البناء ، متضامنة الأعضاء ، لتستطيع الخروج من الانحطاط الضارب ، و إخراج المحتل الغاصب.<sup>3</sup>

كما ركز الشيخ الإبراهيمي في كتاباته ومحاضراته على العروبة واللغة العربية، وذلك لعدة أسباب منها أنّ العرب من أعرق الأمم في التاريخ، و أنّهم

من أكثرها محافظة على الفطرة الإنسانية، يشيع ذلك في أمثالهم، وأخلاقهم وآدابهم و لأنّ الله أكرمهم باختيار آخر أنبيائه وخاتم رسله منهم، و لأنّ فرنسا قد عملت طيلة وجودها بالجزائر على تحقير العروبة و تقليل شأنها في أعين الجزائريين لسلخهم منها و إبعادهم عنها.<sup>4</sup>

**وأما الجزائر** فقد كانت شغل خواطره و نجوى سرائره ، فالموت من أجلها شهادة رغم أنّه لم يملك من أرضها شبرا ، كما تجاوز نضاله الإصلاحى حدود وطنه الجزائر ليتعدى ذلك إلى الوطن العربي والأمة الإسلامية، ساعيا في ذلك إلى بناء مشروع فكري يُخرج الأمة الإسلامية من ظلمات الجهل والتخلف و الاستبداد.<sup>5</sup>

تأسيسا على ذلك سنستحضر العديد من نصوص الشيخ الابراهيمى التي تبرز فيها هذه الدعائم بصورة جليّة، و لعلنا نبدأ قبل الخوض في التفاصيل بمقدّمة الخطاب الذي ألقاه بنادي الترقى جامعا فيها كلّ هذه الدعائم في صورة بليغة قوية تستحقّ منّا كلّ التقدير و الاعجاب -و هو الأديب البارع صاحب الأسلوب الأدبي الرفيع: « أيها الأخوة الكرام : إنّ هذه الأمة الجزائرية أمة واحدة و لا كلام، ربّها الله و إمامها القرآن و نبيّها محمد و لغتها العربية و دينها الإسلام.... ».<sup>6</sup>

هذه الجملة على قصرها تجمع كلّ مقومات المشروع الابراهيمى القائم على توحيد الأمة الجزائرية دينا ولغة و كيانا واحدا .

تروم هذه الورقة البحثية استعراض دعائم النص الابراهيمى التي لا يستقيم إلا بها، إذ غالبا ما نعثر على هذه الدعائم مجتمعة في نص واحد، و نادرا ما تفترق في نصوص مختلفة إذا اقتضت الحاجة و دعت الضرورة حسب المقام و المقال :

**1- الإسلام/ دين الحق و الحياة:** لقد تجلّت جهود الشيخ الابراهيمى في الدفاع عن الإسلام من خلال الرد على الهجمة الشرسة للاستعمار الذي عمل

جاهدا على تذويب المجتمع الإسلامي وطمس قيمه، وعمل جاهدا من أجل القضاء على لغة الضاد، ولولا جهود العلامة ابن باديس ومعه أعضاء جمعية العلماء لنجح الاستعمار في تحقيق خططه المدمرة لكيان الأمة ، وها هو يؤكد مسعى الجمعية قائلا : « أيها الاخوة الكرام : (...) إنّ جمعيّكم هذه أسست لغايتين شريفتين، لهما في قلب كل عربي مسلم بهذا الوطن مكانة لا تساويها مكانة و هما إحياء الدين الإسلامي وإحياء مجد اللغة العربية... »<sup>7</sup>

إنّ إحياء الدين الإسلامي - كما قرّر ذلك الابراهيمى - يقتضى إقامته كما أمر الله عزّو جلّ ، بتصحيح أركانه الأربعة: العقيدة و العبادة و المعاملة و الخلق ، فقد اختلّت العقائد و اختلطت بالخرافات و المعتقدات الباطلة التي أفقدت الثقة الدين ، و اختلّت العبادات فضعفت النفوس من آثارها و افتقدت للكمال الروحي ، واختلت الأحكام فانتهكت الحُرّمات و استبيحت المحرمات، وتفتكت روابط الأسرة الإسلامية وقُطعت الأرحام، فتعادى المسلمون و تباغضوا ، كما اختلّت الأخلاق و في ذلك البلاء ، فالأخلاق من شُعَب الايمان.

لا يكتمل الدين الإسلامي و لا يصل المرء إلى الصفاء الروحي إلا بتصحيح هذه الأركان الأربعة في نفوس المسلمين أطفالا وشبابا وكهولا. يضاف إلى ذلك العمل بالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و هو أصل لو لم يكن من أصول ديننا سواء كفاه ، كما أنّه أكبر دليل على أنّ « الدين الإسلامي دين اجتماع و عمران و حياة و بقاء ... »<sup>8</sup>.

كما استعرض الشيخ الابراهيمى في مقال آخر الموسوم بـ " جمعية العلماء المسلمين" سعادة المسلمين الأولين بالقرآن واتباع الرسول، الذي حرر الأرواح من العبودية للأوثان الحجرية و البشرية، وحرر أبدانها من الطاعة والخضوع، كما استرسل الشيخ في حديثه عن القرآن توصيفا وتقريراً ، ليصل إلى المغزى الأول من مقاله. وهو الوقوف على سر القرآن يقول: « ولكن سر القرآن ليس

في هذا الحفظ الجاف الذي نحفظه ، و لا في هذه التلاوة الشلاء التي نتلوها، و ليس من المقاصد التي أنزل لتحقيقها تلاوته على الأموات، و لا اتخاذه مكسبة والاستشفاء به من الأمراض الجسمانية. و إنما السر كل السر في تدبره وفهمه، و في اتباعه و التخلق بأخلاقه <sup>9</sup>.

وبعد عرض شيخنا لآيات من القرآن تدعو إلى تدبره والوقوف على مكنوناته والعمل بمقتضياته، يعود للحديث مرة أخرى عن الإسلام الذي جاء اصلاحا شاملا للإنسان ، يقول الابراهيمى : « إن الإسلام في جوهره لإصلاح عام من الله به على العالم الإنساني بعد أن طغت عليه غمرة حيوانية عارمة، اجتاحت ما فيه من فطرة صالحة ركبها رب العالمين، و ما فيه من أخلاق قيّمة وشرائع عادلة قررها الهداة من الأنبياء و المرسلين و الحكماء المصلحين ، وصحبتها غمرة وثنية وقفت في طريق الفكر فعاقته عن التقدم ، وابتله بما يشبه الشلل، وقطعت الصلة بين الانسان و بين خالقه (...) و لكن الله تداركه برحمته فجاءه بالإسلام <sup>10</sup>.

يترسم الابراهيمى خطى السلف الصالح في حثّه المستمر على تدبر القرآن و اتباع تعاليمه و التخلق بأخلاقه، فالقرآن ليس ديناً للعبادة فقط بل هو منهجاً للحياة للإنسانية جمعاء، وشتان بين زمن السلف و بين زمن الخلف، ولذلك نجده يستنهض هم النفوس في خطبة ألقاها ارتجالاً ختم بها حفل تكريم للأستاذ ابن باديس في كلية الشعب جاء في ثناياها : « أيّها الإخوان : قارنوا بين هذه الأمة الإسلامية المطوية في بطن الأرض و في بطون الكتب، و بين هذه الأمة الإسلامية التي تدب على وجه الأرض تجدوا الفرق بعيداً جداً، ووجوه الشبه مفقودة البتة مع مجود الاشتراك في الاسم و النسبة . ثم التمسوا السبب تجدوه قريباً منكم، و ما هو إلا هذا القرآن أقامه الأولون وجمعوا عليه قلوبهم و راضوا نفوسهم على أخلاقه، فعلمها الايمان و الأمان و الإحسان، واتخذوه الآخرون مهجوراً فحقّت عليهم كلمة الله في أمثالهم .

فمن لي بمن يرسلها في مسلمي الدعوة و العصبية صيحة داوية : يا أهل القرآن لستم على شيء حتى تقيموا القرآن».<sup>11</sup>

ومع ذلك فإنّ كلّ محاولات الاستدمار و على مدى حقبة زمنية متعاقبة في القضاء على الدين الإسلامي في الجزائر قد باءت بالفشل ، لأنّه إحدى الثوابت في هوية المجتمع الجزائري ، ظل راسخا في الأذهان ، كامنا في النفوس ، حاضرا رغم محاولات التغييب ، وها هو شيخنا الابراهيمي يؤكد ذلك في مقام آخر : « إنّ الإسلام في الجزائر ثابت ثبوت الرواسي، متين القواعد والأواسي، قد جلا الإصلاح حقائقه، فكان له منه كفيل مؤتمن، واستنارت بصائر المصلحين بنوره فكان له منهم حارس يقظ ، و عاد كتابه القرآن إلى منزلته في الإمامة فكان له منه الحمى الذي لا يُطرق و السياج الذي لا يُخرق».<sup>12</sup>

حضور الإسلام قيما وأخلاقا وعقيدة ونهجا للحياة في كلّ النصوص الابراهيمية لا سبيل لتجاهله فهو الدعامة الأولى للمشروع الابراهيمي للنهوض بالجزائر وطنا و الأمة الإسلامية انتماء.

**2- العروبة / اللغة العربية :** إن الشيخ البشير الإبراهيمي، وعبد الحميد بن باديس، ورفاقهما من رجال الحركة الإصلاحية الإسلامية التي تبلورت فيما بعد في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931 - 1956م) يؤمنون إيمانا قويا وصادقا بضرورة بعث اللغة العربية، ووجوب تعليمها، ونشرها بين كافة أبناء الجزائر، بعد أن عمل الاستعمار على محاولة محوها في الجزائر.

لذلك عمل الشيخ البشير الإبراهيمي على بعث اللغة العربية في الجزائر، وخصص لها حيزا كبيرا في كتاباته الغزيرة المادة، البليغة الحجة والأسلوب. كما خصص لها حيزا كبيرا من وقته لتعليمها لأبناء الجزائر، وفي مقالة رائعة للشيخ عنونها بـ "العربية : فضلها على العلم و المدنية و أثرها في الأمم غير العربية"

تتكشف فيها ثقافته الواسعة عن أصل اللغة العربية ووجودها في الجزيرة العربية و أمور كثيرة ، و لكن مراعاة مَنّا للمقام سنقف على مقتطفات منها فقط ، يقول في أصل اللغة : « أيها الإخوة ، انشقت اللغة العربية من أصلها السامي في عصور متوغة في القدم ، و جرت في ألسنة هذه الأمة التي اجتمعت معها في مناسب المجد و أرومات الفخر، و شاء الله أن يكون ظهورها في تلك الجزيرة الجامعة بين صحو الجو و صفو البدو(...) و قد كانت هذه اللغة ترجمانا صادقا لكثير من الحضارات المتعاقبة ... ».<sup>13</sup>

يشير الشيخ الابراهيمي أيضا في مقالته المذكورة سالفا مدى غنى اللغة العربية و استيعابها للعلوم والمعارف المتنوعة ما جعلها لغة مدنية بامتياز: « أيها الإخوان لو لم تكن اللغة العربية لغة مدنية و عمران ، و لو لم تكن لغة متسعة الآفاق، غنية بالمفردات و التراكيب ، لما استطاع أسلافكم أن ينقلوا إليها علوم اليونان و آداب فارس و الهند وَلَأَلْزَمَتْكُمْ الحاجة إلى العلوم تعليم تلك اللغات ، و لو فعلوا لأصبحوا عربا بعقول فارسية و أدمغة يونانية (...) لو لم تكن اللغة العربية لغة عالمية لما وسعت علوم العالم ... ».<sup>14</sup>

لقد كان الإبراهيمي يؤمن إيمانا مطلقا بأن اللغة العربية هي وعاء الإسلام وحافظة قرآنه وتراثه، وأن المحافظة على اللغة العربية في الجزائر تعني بقاء الإسلام في الجزائر، وبقاء العروبة في الجزائر، وأن محاولة فرنسا القضاء عليها إنما يستهدف عروبة الجزائر وإسلامها في الدرجة الأولى، و في هذا الشأن يفتتح حديثه عن التعليم العربي بالآتي: « اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية، و من ثم فهي لغة المسلمين الدينية الرسمية ، و لهذه اللغة على الأمة الجزائرية حقان أكيدان ، كلّ منهما يقتضي وجوب تعلمها ، فكيف إذا اجتمعا ، حق من حيث أنها لغة دين الأمة، بحكم أن الأمة مسلمة

، و حق من حيث أنّها لغة جنسها بحكم أنّ الأمة عربية الجنس ففي المحافظة عليها محافظة على جنسية و دين معاً <sup>15</sup>.

من هنا كان الشيخ البشير الإبراهيمي ورجال الإصلاح في الجزائر بصفة عامة من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (1931م - 1965م) يواصلون ليلهم بنهارهم في العمل على نشر اللغة العربية بين أبناء وبنات الجزائر قبل تأسيس جمعية العلماء وبعد تأسيسها أيضاً، ودعوة فرنسا إلى جعلها لغة رسمية في التعليم، والإدارة في الجزائر <sup>16</sup>: « وجمعية العلماء التي تعد أشرف أعمالها تعليم العربية ، قد أقامت خمسة عشر عاما تطالب في غير ملل بحرية التعليم العربي الذي هو أساس التعليم الديني ، و مازالت تصرع العوارض الحائلة و هي عوارض القرارات الإدارية و القوانين الموضوعة لخلق العربية و قتلها، و مازالت الجمعية تنكر تلك القرارات و تقول عنها في صراحة :إنّها قرارات جائزة ..... » <sup>17</sup>

وبالمقابل كان الاستعمار الفرنسي يبذل أقصى جهوده منذ دخوله إلى الجزائر عام 1830م، حتى خروجه من الجزائر مطروداً مهزوماً في عام 1962م، لطمس معالم اللغة العربية لا في التعليم فقط ولكن في الإدارة وحتى في الحديث العادي بين جماهير الشعب الجزائري.

وقد أصدر قراراً في عام 1938م، يعتبر اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر لا يجوز تعلمها وتعليمها إلا على هذا الأساس. وهذا ما يفسر لنا تلك الحرب الصليبية التي شنّها رجال الاحتلال الفرنسي والمبشرون المسيحيون وهم الطليعة الأولى للاستعمار الأوروبي في الأقطار العربية الإسلامية، على اللغة العربية والدين الإسلامي، والقرآن الكريم، والثقافة العربية الإسلامية، طيلة وجود الاستعمار الفرنسي في الجزائر (1830 - 1962). لقد كان الاستعمار

الفرنسي يعتقد جازما بأن نجاحه في القضاء على اللغة العربية، سوف يسهل له بدون شك القضاء على الإسلام، وبالتالي إيجاد أندلس جديدة في الجزائر، ثم إلحاقها إلحاقا نهائيا بفرنسا، فيما وراء البحر الأبيض المتوسط. إذن، فاللغة العربية هي المقوم الرئيسي للشخصية الوطنية العربية في الجزائر، ولذلك كان الصراع محتدماً على أشده، وعنفوانه بين رجال التعليم العربي الحر من جهة، وبين الإدارة الاستعمارية ورجال التبشير المسيحي من جهة أخرى، طيلة قرن واثنين وثلاثين سنة (1830 - 1962).<sup>18</sup>

وعن علاقة الجزائر باللغة العربية قال شيخنا الابراهيمي: « اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة و لا دخيلة، بل هي دارها و بين حُماتها و أنصارها ، و هي ممتدة الجذور مع الماضي ، مشتدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفتان في المستقبل ،ممتدة مع الماضي لأنها دخلت مع الإسلام على السنة الفاتحين ترحل برحيلهم وتقيم بإقامتهم » .<sup>19</sup>

كما يصور لنا الشيخ الإبراهيمي هذه الحرب الصليبية التي شنتها فرنسا على الإسلام واللغة العربية في الجزائر بعد الاحتلال فيقول "مشكلة العروبة في الجزائر أساسها وسببها الاستعمار الفرنسي ، وهو عدو سافر للعرب، وعروبتهم ولغتهم، ودينهم الإسلام ووجود المشكلة منوط بوجوده ، فإذا زال زال العنصر الأكبر منها والسبب الأعظم فيها...."<sup>20</sup>

ثم يقول: "وبيان ذلك مع الإيجاز، أن الاستعمار الفرنسي صليبي النزعة، فهو - منذ احتل الجزائر - عامل على محو الإسلام لأنه الدين السماوي الذي فيه من القوة ما يستطيع به أن يسود العالم، وعلى محو اللغة العربية لأنها لسان الإسلام، وعلى محو العروبة، لأنها دعامة الإسلام، وقد استعمل جميع الوسائل المؤدية إلى ذلك، ظاهرة وخفية، سريعة ومتأنية، وأوشك أن يبلغ

غايته بعد قرن من الزمن متصل الأيام والليالي في أعمال المحو، لولا أن عاجلته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على رأس القرن بالمقاومة لأعماله، والعمل على تخييب آماله<sup>21</sup>.

وهذا ما يفسر السبب الذي من اتجاه رجال الرعيل الأول من قادة الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر إلى التعليم العربي الإسلامي دون الاتجاه مباشرة إلى تكوين الأحزاب السياسية على غرار ما كان يفعله معظم قادة الجزائر منذ مطلع القرن الحالي الميلادي.

كما أنّ إحياء اللغة العربية من أهمّ الغايات لتأسّيس جمعية العلماء كما سبق و أن عرضنا ذلك في سياق حديثنا عن الإسلام، و يضيف الشيخ الإبراهيمي في ذات السياق : « وأما إحياء مجد اللسان العربي، فلأنّه لسان هذا الدّين والمترجم عن أسرارهِ ومكنوناته، لأنّه لسان القرآن الذي هو مستودع الهداية الإلهية العامّة للبشر كلّهم، لأنّه لسان محمّد بن عبد الله - صلّى الله عليه وسلّم - صفوة الله من خلقه، والمثل الأعلى لهذا النوع الإنسانيّ الذي هو أشرف مخلوقات الله، ولأنّه لسان تاريخ هذا الدّين ومُجَلّي مواقع العبر منه، ولأنّه - قبل ذلك وبعد ذلك - لسان أمة شغلت حيّزا من التاريخ بفطرتها وآدابها وأخلاقها وحكمها وأطوارها...»<sup>22</sup>.

و في نفس السياق يؤكد على ضرورة إحياء اللغة العربية إحياء للفضيلة الإسلامية و الحياة التي يريدها الله منا : « إنّ اللغة هي المقوم الأكبر من مقومات الاجتماع البشريّ، وما من أمة أضاعت لغتها إلا وأضاعت وجودها، واستتبع ضياع اللغة ضياع المقومات الأخرى، و يأبى لكم الله و رسوله أن تضيعوا لغة كتاب الله ولغة الإسلام، يأبى لكم الله إلا أن ترجعوا إليها لا

لتحيوها ، بل لتحياوا بها الفضيلة الإسلامية في نفوسكم، ولتحوا بها الحياة التي يريدّها الله منكم <sup>23</sup>.

إنّ اللغة من أهمّ مقومات الأمم وعناصر شخصيّتها وأسباب عزّها، وتمتاز اللغة العربية عن غيرها بأنّها لغة الدّين، لغة القرآن والسنة، لغة العلوم الدينية والدنيوية - قبل أن يهجرها أهلها ويعفوها - لذلك؛ فإنّ إحياءها إحياء للدّين في نفوس أهلها، وبيانها بياناً لمحاسنها.

يقول شيخنا الإبراهيمي - مبيناً فضل اللغة العربية - : « لغة الأمّة هي ترجمان أفكارها، وخزانة أسرارها، والأمّة الجزائرية ترى في اللغة العربية - زيادة على ذلك القدر المشترك - أنّها حافظة دينها ومصحّحة عقائدها ومدوّنة أحكامها، وأنّها صلة بينها وبين ربّها تدعوها بها وتعترف، وتبوء بها إليه فيما تقترب، وتؤدّي بها حقوقه، فهي لذلك تشدّ عليها يد الضمانة، وما تودّ أنّ لها بها لغات الدنيا وإن زحرت بالآداب وفاضت بالمعارف، وسهّلت سبل الحياة، وكشفت عن مكنونات العلم، فإن أخذت بشيء من تلك اللغات فذلك وسيلة إلى الكمال في أسباب الحياة الدنيا، أمّا الكمال الروحاني والتمام الإنساني؛ فإنّها لا تنشده ولا تجده إلا في لغتها التي تكوّن منها تسلسلها الفكري والعقلي، وهي لغة العرب؛ ذلك لأنّ لغة العرب قطعة من وجود العرب وميزة من مميّزات العرب، ومرآة لعصورهم الطافحة بالمجد والعلم والبطولة والسيادة، فإذا حافظ الرّنجي على رطانته، ولم يبع بها بديلاً، وحافظ الصيني على زمزمته فلم يرض عنها تحويلاً؛ فالعربيّ أولى بذلك وأحقّ؛ لأنّ لغته تجمع من خصائص البيان ما لا يوجد جزء منه في لغة الرّنج أو لغة الصين، ولأنّ لغته كانت - في وقت ما - لسان معارف البشر، وكانت - في زمن ما - ترجمان حضاراتهم، وكانت - في وقت ما - ناقلة فلسفات الشرق وفنونه إلى الغرب، وكانت - في وقت ما - هادية العقل الغربيّ الضالّ إلى موارد

الحكمة في الشرق، وكانت - في جميع الأوقات - مستودع آداب الشرق وملتقى قياداته الفكرية».<sup>24</sup>

3- الوحدة الوطنية و الإسلامية/ الجزائر وطننا : لقد كان اهتمام الشيخ الابراهيمى رحمه الله بالوحدة الوطنية يندرج ضمن اهتمام أكبر يمتد ليشمل دائرة أوسع.. اهتمام يتعلق أساسا بانتشال أمة غارقة في أحوال الجهل والتخلف والاستعباد، والعمل على الارتقاء بها إلى مستوى تشعر معه بأهميتها وحقوقها ومكانتها بين الأمم.

ولكي تتحقق الوحدة الوطنية لابد في المقام الأول من تحقيق الوحدة الدينية الإسلامية إذ يمثل الإسلام المقوم الأول للشخصية الوطنية الجزائرية لذلك فإن الإسلام يعتبر عامل الوحدة الوطنية الأولى، إذ يملك من أسباب الجمع والتوثيق بين الأفراد الرصيد الأعظم، فتعاليمه كلها تدور حول التعاون والتآزر والتناصر والأخوة المتبادلة بين أفراد المجتمع .. تلك القيم التي من شأنها أن تزيد في ارتباط الجزائريين بعضهم ببعض، وتدعم تتأغمهم وتعاونهم على النهوض بوطنهم وحماية مقومات شخصيتهم.

وكما يمثل الإسلام عاملا من عوامل الوحدة الوطنية ومقوماتها، فإن اللغة العربية لا تقل أهمية في هذا الإطار، إذ تضيف إليه عاملا آخر يزيد في قيمته وقوته، فهذا الإسلام نفسه لا يمكن فهم نصوصه وإدراك تعاليمه إلا بتعلم هذه اللغة وإتقان فهمها والحديث بها.

ليخلص إلى وحدة الوطن: فالجزائريون يشتركون في انتمائهم جميعا إلى وطن واحد هو الجزائر، وهذه الوحدة في الانتماء تكفي في إنهاء كل أسباب التفريق والتمييز فيما بينهم، وتسهم في ربط أواصر اللقاء والتعاون بين شرائحه في الجزائر و في الوطن العربي ،يقول شيخنا الابراهيمى : « أرجو لهؤلاء

الشبان و لحيلهم أن يوقفوا في وصل ما انقطع من روابط العروبة و أرحامها و سبيلهم المهيع إلى ذلك أن يتعارفوا على أساس الأخوة و المحبة، و أن يعرفوا هذه القطع المتجاورات التي وصلها الله و قطعناها ، على أنها وطن العروبة الأكبر، و لئن فعلوا ليعودن إلى للأمة العربية مجدها و سؤدها على أيديهم و ليكون بذلك أسعد الناس .»<sup>25</sup>

ولقد رأى شيخنا أنه لتأجيج الشعور بالوحدة الوطنية بين الجزائريين، ينبغي تأجيج الشعور قبل ذلك بوحدة الانتماء إلى الوطن الواحد والأرض الواحدة وإن اتسعت أطرافها وامتدت مناطقها. يقول شيخنا الابراهيمي: « في هذا الوطن الجزائري شعب عربيّ مسلم ، ذو ميراث روحاني عريق، و هو الإسلام و آدابه وأخلاقه و ذو ميراث مادي شاده أسلافه لحفظ ذلك التراث و هو المساجد بهياكلها و أوقافها، و ذو نظام قضائي مصلحي لحفظ تكوينه العائلي و الاجتماعي و ذو منظومة من الفضائل العربية الشرقية...، و ذو لسان وسع وحي الله، و خلد حكمة الفطرة، وجرى بالشعر و الفن .... ».<sup>26</sup>

و يذكر في موضع آخر: « إنّ الجزائر وطنكم الصغير و إنّ افريقيا الشمالية وطنكم الكبير ، و إنّ فلسطين قطعة من جزيرة العرب التي هي وطنكم الأكبر ، و إنّ الرجل الصحيح الوطنية هو الذي لا تلهيه الأحداث عن القيام بواجبات وطنيه الأصغر و الأكبر ».<sup>27</sup>

دافع شيخنا الابراهيمي عن قوميته العربية و الإسلامية، وناضل بفكره و قلمه لتحقيق الوحدة الوطنية والقومية و الإسلامية، فالوطنية الحقّة هي قيام الفرد بواجباته اتجاه أمته و توحيد جهودها و رص صفوفها لمواجهة الاستعمار الفرنسي، فمحاربته مفتاح لتصفية كلّ القضايا و الاتحاد في محاربته قوّة تبطل قوّته ، قال شيخنا الابراهيمي في صيحته لتوحيد المغرب العربي : « إنّ عدونا واحد فلنلقه في ميدان واحد برأي واحد وصف واحد، و لو فعلنا و

أخلصنا لسعت إلينا الحرية ركضا ، ولكن عدونا أعلم بهذه النقائص فينا منا فهو نائن ملء عينيه مادام يرانا على هذه الحالة. أزجوه وأقصوا مضاجعه باتحاد لا يتزعزع و عزائم لا تتزلزل و أخلاق يذعن لها الجبابرة و يومئذ تجدون الاستعمار وقوته و أساليبه وتخيلاتكم فيهلكها باطلا في باطل ....  
« 28.

إنّ المغرب العربي وحدة قومية لا تتجزأ، و فيه من دعائم القوّة و الثبات ما يحقق له الحرية سريعا ولهذا ركز شيخنا على وحدة الصف و لمّ الشمل بين أقطار المغرب العربي حتى يتسنى له أن يكون قوّة تواجه المستدمر و تتغلب عليه لا محال. إذن لا مناص من الوحدة لتحقيق القوة.

كما أسالت قضية فلسطين حبر شيخنا الابراهيمي ، وكانت جرحا عميقا في نفسه و ألما كبيرا في خاطره ، فلا عيد يحلو و لا حياة تستقيم ولذا كتب الشيخ الابراهيمي مقالا موسوما بـ " هل لمن أضاع فلسطين عيدا " كشف فيه عن حزنه العميق و حيرته العظمى و قلقه الممزوج بالأسى و الحزن عن قضية فلسطين ومستقبلها : « وجاءت نكبة فلسطين فكانت في قلبي جرحا على جرح و كانت الطامة و الصاخة معا و كانت مشغلة لفكري بأسبابها و مآسيها و عواقبها القريبة و البعيدة ، فلا تصوّر لي الخواطر إلّا أشنع ما في تلك العواقب ... »<sup>29</sup>

كتب الشيخ الابراهيمي عن القضية الفلسطينية سلسلة مقالات مازالت تُقرأ حتى الساعة وكأنّها كُتبت اليوم، وهي مقالات بثّ فيها أحزانه و آلامه و تصوّر فيها عواطفه الحارة العنيفة مستصرخا العرب، ليفزعوا إلى إخوانهم و ليدركوا أبعاد المؤامرة التي دبّرها المستدمر الغربي للعرب ، كلّ ذلك سعيا منه إلى تأكيد وحدة العرب القومية و الدينية جاء في المقال الموسوم بـ " هل لمن أضاع فلسطين عيدا " : « أيها العرب : ها هو عيد الفطر قد أقبل و كأني بكم تجرون فيه على عوائدكم و تنفقون المال بلا حساب على الخُلل يرتديها

أولادكم و على الطعام و الشراب...فماذا اعددتم للأخرى من الواجبات التي هي أدنى لروح العيد ،وأجلب لسرور الرجال في العيد، و أقرب لرضى الله وهي حقوق فلسطين و أهل فلسطين ومشردى فلسطين و يتامى فلسطين و أيامى فلسطين و المسجد الأقصى من فلسطين ، أم قست قلوبكم فأنتم لها لا تذكرون؟»<sup>30</sup>

كما كان شيخنا على وعي تام بخطورة خسارة فلسطين وضياع المسجد الأقصى، ولذلك وجدناه محذرا العرب من ضياعها، محملا إياهم ما آلت إليه القضية الفلسطينية، داعيا إلى تدارك الوضع قبل فوات الأوان: « أيتها العرب.... فهل تداركتم أخطاءكم بالرجوع فيها إلى الصواب، و تداركتم خطاياكم بالتوبة منها والإقلاع عنها، أو تداركتم تضییعكم لفلسطين بالاستعداد الصادق لاسترجاعها أو تداركتم تعريضكم يتامى القدس للتنصر بالنظر لهم والسعي لإنقاذهم أو تداركتم أعراضكم عن اللاجئين الذين أخرجوا من ديارهم و أموالهم بالمساعي الجدية لإرجاعهم أو تداركتم إهمالكم للمسجد الأقصى الذي أصبح تحت رحمة صهيون بالحفاظ على حمايته...و هيهات هيهات ..ضاع المسجد الأقصى يوم ضاعت فلسطين و لا مطمع في انقاذه إلا بإنقاذ فلسطين كلها »<sup>31</sup>.

ولفلسطين مكانة خاصة في قلوب الجزائريين ، و مُصابها مُصاب كل جزائري مسلم ، هي جزء من وحدتنا العربية الإسلامية، لذلك فنصرتها والدفاع عنها واجب ، و التقصير في حقها ذنب يتحملة الجميع ،لهذا وجدناه في مقال آخر عنوانه بـ "تصوير الفاجعة" يبدأ بـ "يا فلسطين" مظهرا منزلة فلسطين القريبة من عقول وقلوب الجزائريين المسلمين موضحا أيضا أسباب التفريط - في تلك المرحلة - و هو الاستعمار بالدرجة الأولى، كما عبّر عن نوع العاطفة التي تربطه بفلسطين فهي الأرض المقدسة ، و فيها كانت القبلة الأولى للمسلمين ، وكون المسجد الأقصى ثاني المساجد ميلاد في الأرض و كونها

نهاية الاسراء و المعراج، و موطن نزول آدم عليه السلام إلى الأرض ، كما انتقل شيخنا بعد ذلك في رحلة تاريخية طويلة تتناول تاريخ اليهود مع الفرس و الآشوريين و الرومان ثم يعود شيخنا ليبين مدى دفاع العرب و المسلمين عن فلسطين على مدى حقبة متعاقبة عبر التاريخ و تفاصيل أخرى . و لكن مراعاة منا للوقت و المقام اخترنا هذا المقتطف من المقال المتميز : « يا فلسطين إنَّ في قلب كلِّ مسلم جزائري من قضيتك جروح دامية ، و في جفن كلِّ مسلم جزائري من محنتك غبرات هامية، وعلى لسان كلِّ مسلم جزائري من حَقِّك كلمات مترددة هي : فلسطين قطعة من وطني الإسلامي الكبير قبل أن تكون قطعة من وطني العربي الصغير ، و في عنق كلِّ مسلم جزائري لك - يا فلسطين- حق واجب الأداء، و ذما متأكد الرعاية ، فإن فرط في جنبك ، أو أضاع بعض حَقِّك فما الذنب ذنبه و إنما هو ذنب الاستعمار الذي يحول بين المرء و أخيه ، و المرء و داره ، و المسلم و قبلته ».<sup>32</sup>

كما أكد شيخنا في أكثر من مقام على أنَّ الوحدة العربية لا تكتمل إلا بفلسطين ، و ما الانتداب البريطاني إلا فعل شنيع يسعى إلى اغتصاب وحدتنا ، و تمزيق جزيرتنا العربية : « إنَّ فلسطين أرض عربية لأنها قطعة من جزيرة العرب ، و موطن عريق لسلائل العرب ، استقر فيها العرب أكثر مما استقر فيها اليهود ، و تمكَّن فيها الإسلام أكثر مما تمكنت اليهودية و غلب عليها القرآن أكثر مما غلبت التوراة ... وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم ، و إنّما هي للعرب كلهم .....».<sup>33</sup>

فلسطين للعرب و العرب لفلسطين ، و لا تكتمل الأمة العربي والإسلامية إلا برجوع فلسطين و خروج اليهود منها، فالقرآن غالب عليها ، و العروبة موطن أزلّي فيها.

لقد كانت العروبة والإسلام والوحدة الجزائرية والقومية وحتى الإسلامية دعائم ثابتة في كتابات الابراهيمي ذلك أنّها تمثّل الركائز التي يبنى عليها نسق

النص الابراهيمي العام الحامل دائما لهويته العربية والإسلامية. لهذا حرصنا في هذه الورقة البحثية على استحضار ما حملته النصوص الابراهيمية من قيم معرفية ودينية وأخلاقية في ضوء تركيزنا على الإسلام و العروبة والوطن في آثار الشيخ البشير الابراهيمي. وذلك بالوقوف عند النص الابراهيمي بوصفه شاهدا ثقافيا بامتياز يختزل الكثير من المعطيات المعرفية و يؤسس لمشروع عربي إسلامي عميق الرؤية.

ختاما إن الإحاطة بكل ما أورده شيخنا الابراهيمي عن هذه الدعائم ( الإسلام، العروبة و الوطن ) في هذه الورقة البحثية مهمة صعبة يُستعصى الإحاطة بها جميعا، فهو غزير العلم ، كثير الانشغالات والاهتمامات ومتفرع الأبحاث و العلوم ، متشعب الاهتمامات ، و لكننا مع ذلك حاولنا انتقاء عديد النصوص من آثاره بأجزائها الخمسة للكشف عن رؤيته الإسلامية العربية الجزائرية تَمَثِيلًا لا حَصْرًا ، لنخلص في الأخير أَنَّها الثلاثية المقدسة التي عمل الابراهيمي جاهدا على ترسيخ قيمها في نفوس الأطفال و الشباب و الكهول ، ومن ثم المجتمع ، إِنَّها ثابِت لا تتغير في نصوصه نسخت الثلاثية المدنسة (التصير / الفرنسية/ التجنيس)، وهي لا تشكّل دعائم قويّة لنصوصه فقط، بل ركائز فكره وثقافته و مقومات مشروعه النهضوي العربي الإسلامي.

#### \*الهوامش و الاحالات :

<sup>1</sup> - ينظر: <http://mokhtari.over-blog.org/article-33737253.html> مقال بعنوان جهاد الشيخ البشير الإبراهيمي عن اللغة العربية والإسلام في الجزائر /الاستعمار حاول تشويه الهوية الجزائرية واللغة العربية.

<sup>2</sup> - آثار الامام مُجَدِّد البشير الابراهيمي - جمع وتقديم : أحمد طالب الابراهيمي - ج3- دار الغرب الإسلامي ط1- 1997- ص: 96.

<sup>3</sup> - ينظر : تقديم أحمد طالب الابراهيمي - آثار الامام مُجَدِّد البشير الابراهيمي - ج 1- ص: 20.

<sup>4</sup> - ينظر : المرجع نفسه - ص: 21.

<sup>5</sup> - ينظر : المرجع نفسه - ص: 22.

- <sup>6</sup> - آثار الامام مُجَدِّد البشرى الابراهيمى - جمعية العلماء / دعوتها و غايتها - ج1- ص 139:.
- <sup>7</sup> - المرجع نفسه - ص :133.
- <sup>8</sup> - المرجع نفسه - ص : 134.
- <sup>9</sup> - آثار الامام مُجَدِّد البشرى الابراهيمى - فلسفة جمعية العلماء - ص : 160.
- <sup>10</sup> - المرجع نفسه - ص : 161.
- <sup>11</sup> - آثار الامام مُجَدِّد البشرى الابراهيمى - من خطبة الأستاذ الابراهيمى في حفل تكريم الأستاذ ابن باديس - ص : 363.
- <sup>12</sup> - آثار الامام مُجَدِّد البشرى الابراهيمى - الأديان الثلاثة في الجزائر - ج3- ص: 82.
- <sup>13</sup> - آثار الامام مُجَدِّد البشرى الابراهيمى - العربية : فضلها على العلم و المدنية و أثرها في الأمم غير العربية - ص 374:
- <sup>14</sup> - المرجع نفسه - ص : 376.
- <sup>15</sup> - آثار الامام مُجَدِّد البشرى الابراهيمى - التعليم العربى - ج3 - ص : 48.
- <sup>16</sup> - ينظر : <http://mokhtari.over-blog.org/article-33737253.html> مقال بعنوان  
جهاد الشيخ البشرى الإبراهيمى عن اللغة العربية والإسلام في الجزائر / الاستعمار حاول تشويه الهوية الجزائرية واللغة العربية.
- <sup>17</sup> - المرجع نفسه - ص : 49.
- <sup>18</sup> - ينظر : <http://mokhtari.over-blog.org/article-33737253.html> مقال بعنوان  
جهاد الشيخ البشرى الإبراهيمى عن اللغة العربية والإسلام في الجزائر / الاستعمار حاول تشويه الهوية الجزائرية واللغة العربية.
- <sup>19</sup> - آثار الامام مُجَدِّد البشرى الابراهيمى - اللغة العربية في الجزائر / عقيلة حرّة ليس لها حرّة - ج 3 ص : 206.
- <sup>20</sup> - آثار الامام مُجَدِّد البشرى الابراهيمى - مشكلة العروبة في الجزائر - ج5 - ص 150.
- <sup>21</sup> - المرجع نفسه - ص : 151.
- <sup>22</sup> - آثار الامام مُجَدِّد البشرى الابراهيمى - جمعية العلماء / دعوتها و غايتها - ص : 134.
- <sup>23</sup> - المرجع نفسه - ص : 135.
- <sup>24</sup> - ينظر : آثار الامام مُجَدِّد البشرى الابراهيمى - اختلاف ذهنيين في معنى التعليم العربى - ج3- 281.
- <sup>25</sup> - آثار الامام مُجَدِّد البشرى الابراهيمى - الاستعمار الفرنسى في الجزائر - ج5 - ص 99.
- <sup>26</sup> - آثار الامام مُجَدِّد البشرى الابراهيمى - من الحقائق العريانة - ج3- ص: 46.
- <sup>27</sup> - آثار الامام مُجَدِّد البشرى الابراهيمى - نداء و تحذير الى الشعب الجزائري المسلم العربى - ج2- ص: 205.
- <sup>28</sup> - آثار الامام مُجَدِّد البشرى الابراهيمى - اتحاد المغرب العربى - ج4- ص 302.
- <sup>29</sup> - آثار الامام مُجَدِّد البشرى الابراهيمى - هل لمن أضع فلسطين عيدا - ج4- ص 216.
- <sup>30</sup> - المرجع نفسه - ص 216- 217.

<sup>31</sup> - المرجع نفسه - ص 217.

<sup>32</sup> - آثار الامام محمد البشير الابراهيمي - فلسطين / تصوير الفجيرة - ج2- ص 435.

<sup>33</sup> - ينظر - المرجع نفسه - ص 43.

المصادر :

1- آثار الامام محمد البشير الابراهيمي - جمع وتقديم : أحمد طالب الابراهيمي - ج1-ج2-ج3-ج4- دار الغرب الإسلامي - ط1- 1997-.

الموقع الالكتروني :

<http://mokhtari.over-blog.org/article-33737253.html> مقال بعنوان جهاد الشيخ

البشير الإبراهيمي عن اللغة العربية والإسلام في الجزائر / الاستعمار حاول تشويه الهوية الجزائرية واللغة العربية.